محاضرة 07

مشروع الوحدة المغاربية بين القوة والفتور 1949. 1954

لقد بدأ الفتور يدب في النشاط النضالي في القاهرة اثر خلافات عام 1949 وعودة بورقيبة للتفاوض مع فرنسا، ولكن شعار التضامن والتنسيق المشترك في مواجهة الاحتلال بدأ يفرض نفسه داخل الأقطار المغاربيةحيث كانت حماسة الجماهير وا يمان المناضلين يلتقي مع مرجعية وحدة الكفاح المسلح التي كان يتمسك بها محمد بن عبدالكريم الخطابي والثوريون الجزائريون، وقد دعت حركة الانتصار للحريات الديمقراطية سرا وعلنا إلى وضع إستراتيجية لوحدة نضال مشتركة ضد النظام الاستعماري وأرسلت عدة وفود للتباحث مع مناضلي تونس والمغرب في مسألة الوحدة والعمل المسلح، غير أنها شعرت بخيبة أمل عندما لم يأبه الحزبين الاستقلاليين لدعوتها([1]).

وفي جانفي سنة 1952 اجتمعت الأحزاب المغاربية الكبرى في إقامة مصالي الحاج بباريس وصادقت على إنشاء تمثيل نضالي باسم جبهة الاتحاد والعمل المغربية ([2])، لكن هذه الجبهة اتخذت عددا من القرارات السياسية ولم تفكر جديا في العمل الثوري مما جعل بعض الثوريين يفقدون الأمل في الزعامات السياسية ويدعون إلى العمل المسلح إذ يذكر حسين التريكي([3])، أن ابن بلة([4])، أوضح له عندما فشلت المفاوضات التونسية الفرنسية الأولى أنه من الضروري إقصاء قيادات الأحزاب المغاربية السياسية عن أي دور

---

[1] حربي محمد :**جبهة التحرير الوطني،الأسطورة والواقع**، تر، كميل داغر، ط1، مؤسسة الأبحاث العربية، دار الكلمة للنشر، بيروت،1983، ص . ص، 59.57.

[2] انظر **المنار**،جريدة سياسية حرة، الجزائر، السنة 1، العدد 16 (15 فيفري 1952) ص1 .

[3] حسين التريكي مناضل تونسي، ساند جناح صالح بن يوسف في معارضة بورقيبة، وانخرط في الوفد الخارجي للثورة الجزائرية، ومثلها في أمريكا اللاتينية .

[4] أحمد بن بلة، ولد عام 1918 بمغنية، تولى قيادة المنظمة السرية، أسهم في التحضير للثورة التحريرية وهو في القاهرة، قام بدور مهم في تسليح الثورة وا دارة علاقاتها الخارجية إلى غاية اعتقاله في أكتوبر 1956، تحالفت معه هيئة الأركان ليصبح أول رئيس للجزائر المستقلة (1962_1965)

في معركة التحرير القادمة لأن بورقيبة ومصالي وعلال الفاسي أثبتوا عجزهم في خوض المعركة العسكرية ([5]) .

وقد خلص ابن بلة والمناضلون الثوريون إلى مثل هذه الأحكام بعد أن خيب سياسيو حركة الانتصار ومصالي آمالهم في الثورة وانساق بعض السياسيين في تونس والمغرب مع المخططات الفرنسية معتقدين أن الخصوصية القطرية للمحميتين تختلف عن وضع الجزائر المحتلة وأن فكرة المغرب العربي تعني التضامن والتنسيق وليس الوحدة العضوية التي بدا أن التخلي عنها أصبح أمرا حتميا بدءا من عام 1953 فلم تكن انتفاضة الفلاقة في تونس متزامنة مع انتفاضة المغرب عام 1953 وثورة الجزائر عام 1954، وقد تنازعت النضال المغاربي بدء من عام 1949 إستراتيجيتين هما:

1. إستراتيجية تجذير ومغربة الحرب:

تزعمتها العناصر الثورية المتمسكة بميثاق لجنة تحرير المغرب العربي وعلى رأسها محمد بن عبدالكريم الخطابي وثوريو حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، وكانوا يدعون إلى العمل السلح وا ٍلى ضرورة توحيده بين الأقطار الثلاث وفي هذا الإطار وضع الخطابي خطة تحررية شاملة لأقطار المغرب العربي بدت للبعض أنها مثالية وصعبة التجسيد وا ٍن كان اعتمد على تكوين الضباط وربط الاتصالات الميدانية وقام بالدعاية اللازمة([6])، وقد حققت بعثاته وجهوده التنسيقية نتائج مهمة في التأكيد على خيار الكفاح المسلح في تونس وا ٍنشاء قاعدة تموين خلفية في طرابلس وا ٍرساء توافق مع المناضلين الجزائريين على مبدئي إعلان الثورة وتعميمها على كامل المغرب العربي وكان اندلاع الثورة الجزائرية محفزا لنجاح هذه الإستراتيجية ([7])

2. إستراتيجية التفاوض والحل السلمي:

---

[5] شهادة حسين التريكي، سجلت عام 1993 ومحفوظة بالمعهد الأعلى للحركة الوطنية التونسية، منوبة .

[6] انظر محمد زنير : **صفحات مطوية من الوطنية المغربية من الثورة الريفية إلى الحركة الوطنية**، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1990، ص . ص، 28 .29.

[7] انظر محمد حمادي العزيز :**جيوش تحرير المغرب العربي**،**هكذا كانت القصة في البداية**، منشورات المندوبية، س ق م أ ج ت، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2004، ص128 وما بعدها .

برز هذا التوجه المعتدل في نهاية الأربعينيات من القرن العشرين وبعض عناصره لم تكن تعتمد الخيار العسكري في نضالها، والبعض الآخر مثل الحزب الدستوري الحر وحزب الاستقلال المغربي نظر إليه باعتباره عامل مساعد ومحدود في خطة يحتل فيها العمل السياسي التفاوضي الأولوية فهي لا تريد أن تكون أداة ضغط على المستعمر ليجنح إلى المفاوضات، وقد أدى جنوح بورقيبة للتفاوض مع الفرنسيين عام 1949 إلى صوغ عدة اجتهادات هدفها التنصل من التزامات العمل المشترك والتأكيد على أن وضعية تونس والمغرب تختلف عن وضعية الجزائر وأن التمسك بالحل المشترك يعجل تحرير هذه الأقطار وأن لكل قطر خصوصياته التي لا يعرفها إلا أهله([8])، وقد كرس التونسيون هدا الطرح في اجتماع لجنة تحرير المغرب العربي في افريل 1954 غير أن الخطابي والممثلون الجزائريون رفضوا المصادقة على مشروع يكرس القطرية([9]).

ومثلت التجربة التونسية التي انتهجها بورقيبة تجسيدا لهذا الخيار إذ اعتبر بورقيبة أن حل القضية التونسية يبدأ بمد جسور التفاهم مع الحكومة الفرنسية ورفع القضية إلى هيئة الأمم المتحدة والتلويح بالعمل العسكري دون التعويل عليه لإهزام العدو عسكريا وقبل بورقيبة بمبدأ وقف المقاومة بمجرد أن صدر وعد منداس فرانس بمنح تونس استقلالا ذاتيا وقبل بتسليم الأسلحة قبل مباشرة المفاوضات ورضي بعرض الاستقلال الفرنسي المجتزئ بعد كثير من المماطلات، وقد وجه انتقاد شديد لهذه السياسة أدى إلى انقسام التونسيين أنفسهم بين بورقيبة وصالح بن يوسف، واعتبر الخطابي سياسة بورقيبة التفاوضية خيانة وطعنا لميثاق وحدة المغرب العربي وصب جام انتقاده للتيار الاستقلالي الذي قبل بمفاوضات اكس ليبان، وسبب هذا الموقف شرخا بين أنصار الحل السلمي وبين أولئك المعولين على الحل العسكري الشمولي([10]).

وأمام هذا الخلاف السياسي والاستراتيجي ناورت الإدارة الفرنسية لتشتيت وتشويه قضايا التحرر المغاربية وبعث الارتياب في مشروع مغربة الحرب وكأنها نزلت لتتفهم

---

[8] انظر الرشيد إدريس **:بناء المغرب العربي**، مرجع سابق ص _ص، 31.30.

[9] انظر عن الاجتماع ومناقشاته التي حضرها الديب، فتحي الديب: عبد الناصر وثورة الجزائر،ط3، دار المستقبل العربي، القاهرة، 1984، ص_ص، 32.24.

[10] انظر محمد زنير : **المرجع السابق** ص ص،37.34.

الاستعطاف البورقيبي " إن مصلحة فرنسا تقتضي أن تتفاوض مع حزب رجاله عصريون لائكيون كونتهم هي بنفسها يحيون بعبقريتها وبثقافتها و بالمبادئ التي علمتهم..."([11])، ولكنها لم تقدر على مجابهة الحل الشمولي واضطرت لتقديم كثير من التنازلات حفاظا على بقاء الجزائر فرنسية، وهكذا ولد استقلال تونس والمغرب في خضم الأزمة وعلى حساب التوجه الثوري الراديكالي الذي كان مصمما على قلب أوضاع المغرب العربي بأفكاره الاستقلالية والوحدوية الثورية.

[11] انظر عمار السوفي: **عواصف الاستقلال**، رؤية في الخلاف اليوسفي البورقيبي، مطبعة الرشيد، تونس، 2006، ص 78 .